عليها الوفٌ والوف الوفٍ من الادوار في اقل من طرفة عين ثم اشرب الكاس بفقاقيعها واطلق العنان للخيال ليتصوّر كم دخل جرفك من المخلوقات

او دعِ الكاس في مكانها وانظر الى جلد السماء وارقبْ هذه النجوم الثوابت واعتبر ان الكرة الارضيّة وكل السيارات جواهر نردة من النظام الشمسي . والنظام الشمسي وعشرون مليونًا من النظامات التي مثلة دقائق من نظامنا النجمي الذي هو المجرّة . والمجرّة كلها اشبه شيء بفقاعة من الهواء طافية في كاس من الماء او حويصلة دماغية في كائن عظيم نسبة نظامنا النجمي اليها نسبة الحويصلة الدماغية اليه . فمن نظر الى كواكب السماء واستصغر نفسهُ واحتقرها فلينظر الى جواهر الاجسام فانهُ يستكبر نفسهُ ويعتبرها . والفلكيُّ يبحث عن اجرام السماء والكيماوي عن جواهر الاجسام ويوسعان نطاق المعارف ويريانا كل يوم دليلاً جديدًا على قدرة الخالق عزَّ وعلا وترفعهُ فوق طور العقول

الاعتدال والافراط

لجناب رزقه افندي جرجس (١)

لا يخفى انَّا متى عرَّضنا لاحد العمال بأمر الاقتصاد اجابنا في الغالب بقولهِ " انما يسهل الاقتصاد مع الكثرة فلو كانت اجرتي اكثر مما هي لامكنني ان اقتصد واسرَّني الاقتصاد اما الآن فكيف يمكني استبقاء شيء من مثل هذه الاجرة "

والحقيقة انهُ لا صحة لما يقال من ان اجرة العمال في بلادنا لا تزيد عن حوائجهم اليومية وذلك اولاً لان جميع العمال لا يتساوون في الاجر ولا في النفقات حيث ان منهم من لا يحصل على جنيه في الاسبوع ومَن يحصل على الثلاثة والاربعة ولا بدَّ ان المتزوج منهم ينفق ثلاثة او اربعة اضعاف ما ينفقهُ غير المتزوّج ثانيًا لانهُ اذا امكن للعامل القليل الاجرة متزوّجًا كان او عزبًا ان يعيش بتلك الاجرة فلا شكَّ ان كثير الاجرة عزبًا كان او متزوّجًا يمكنهُ ان يستبقي شيئًا من اجرتهِ غير انهُ يتضح بملاحظة احوال هؤلاء العمال ان اعظمهم اجرةً ليس باكثرهم اقتصادًا بل ان معظم اصحاب الاجر المرتفعة منهم لا يستبقون شيئًا من المال اصلاً وفضلاً عن ذلك لا يعتنون براحة ورفاهية عائلاتهم ولا

(١) من كتاب لهُ في الاقتصاد السياسي طبع حديثًا في مطبعة المقتطف انظر باب التقاريظ من هذا الجزء

بتربية اولادهم مثل ما يعتني بذلك غيرهم ممن لا يصيبون مثل نصف اجرتهم وانهم انما يعيشون في حالة يجب ان اخف مصيبة او مرض او خسارة تؤدي بهم الى الافتقار والى الصدقة واستدرار رأفة الزائرين وشفقة الجيران او الاستدانة واعظم الاسباب التي تحرمهم مزية الراحة والاستقلال في المعيشة انما هي إنفاقهم اموالهم على المسكرات والخمور

والافراط من الخمر والاشربة القوية رذيلة كادت تعم جميع الناس على اختلاف طبقاتهم كما يتضح ذلك مما نراهُ يوميًّا من ازدياد عدد الاماكن المعدَّة لبيع المسكرات كأن المسكرات افضل ما اكتشف عليهِ اهل بلادنا من واردات اوربا اليهم فانصبوا عليها هذا الانصباب حتى راجت سوقها هذا الرواج وهذا مما يستوجب اسف كل عاقل على بلادنا المصرية التي كانت في شغل عن الخمر منذ عهد غير بعيد فاصبحت الآن ومعظم قراها فضلاً عن المدن مترعٌ من هذا الشراب النتال وجلّ فتيانها فضلاً عن الكهول قد عكفوا على التغذي بهذا السم الزعاف حتى اصابهم وهم في سن الشبيبة ما غدا يدهش شيوخنا من سقم الجسم وفتور الهمَّة وضعف القوى الادبية وحرموا بذلك لذة التقاط درر التمدن الاوربي وعجزوا عن اكتساب وسائل النفع العام الموصلة الى الثروة ورفاهة العيش

هذا حال كون العمال على الخصوص ينبغي ان يكونوا الدّ اعدا الافراط لانهُ اذا صحَّ ان اجرة العامل لا يفضل منها الاَّ القليل بعد ضروريات معاشهِ ومعاش عائلتهِ وسلمنا ان المسكرات ليست من ضروريات المعاش كان كلما ينفقهُ فيها العامل سببًا لحرمانهِ من حاجيَّاتهِ وحاجيَّات عائلتهِ . ثم ان ما يهم العمال ان تكون اثمان الطعام رخيصة غير انَّا نجد ان مقادير وافرةً من أهمّ اركان الطعام تذهب في عمل المسكرات والمشروبات الكحولية فان الشعير والقمح والذرة والبطاطس كلها تستعمل لاستخراج الكحول التي عليها المدار في جميع المشروبات الروحية ويقال ان الروس والاتراك وبعض العرب يصنعون الكحول من اللبن ايضًا فلو بيعت جميع هذه الاصناف كموادّ غذائية لا كحولية لهبطت اسعار المأكولات كثيرًا وازداد ايراد العامل زيادة حقيقية بذلك وكان يمكنهُ ان يتأنق في طعامهِ فيلتذ بهِ خصوصًا . وقد بيَّن لنا العلم الآن ان المسكرات لا تحتوي على شيء من الغذاء اصلاً وانها تمرّ في مسام الجسم بدون ان يلحقها ادنى تغيُّر فلا تساعد على تكوين شيء من العظم والعضل او الاعصاب او غيرها من الاعضاء وانما ينحصر فعلها في تهييج الجسم وتقوية فعل بقية الاعضاء بعض الاحيان اما الغذاء فلا تحتوي منهُ شيئًا وانما فعل الخمر في الجسم كمرقعة الكرباج على ظهر الجواد توجهُ الى العدو قليلاً ثم يقتب

هذا واذا كان من مصلحة العمال ان تتوفر موادّ الطعام وترخص اثمانها فمن مصلحتهم ايضاً ان يستخدم لتحصيل المنافع اكثر عدد يمكن استخدامه منهم وعليهِ فاذا حسبنا الآن عدد من يقتضون ثمن الاقمشة القطنية النهائي ثم قابلنا ذلك بعدد من يقتضون ثمن المشروبات الروحية النهائي كان هؤلاء بنسبة صغر بالنسبة الى اولئك لانّا في الحالة الاولى نجد ان الزارعين وعملتهم ومالتقطي القطن والحالين وبقية من يشتغلون بأمر الغزل ثم الحلاجون والغزالين والنساجين والعاملات بالابرة وكثيرين غير هؤلاء جميعهم يقتضون ما يبذلهُ مستهلك البضاعة القطنية من النقود اما في الحالة الثانية فالذين يقتضون اثمان المشروبات من العيلة في بلادنا لا وجود لهم البتة بما ان المشروبات تأتينا مصنوعةً من اوربا هذا فضلاً عن ان العمل الاوّل عبارةٌ عن انماء شجيرة ينتفع بها النوع الانساني والعمل الثاني عبارةٌ عن اتلاف الطعام والزاد لا غير . على ان الخرقة الباقية من القطن بعد ان تكون قد قامت بواجب الخدمة المستهلك قد تدخل ايضاً في طورٍ آخر من المنفعة للناس عموماً والعيلة خصوصاً اعني بذلك انها تكون سبباً لاستجلاب جيشٍ كاملٍ من جامعي الخرق والورّاقين والكتبة والطباعين وتجليدي الكتب وغيرهم ممن تؤول خدمتهم الى تثقيف وتهذيب العقل الانساني . اما غاية ما يقال عن المسكرات فهو انها تسبب لذةً وقتيةً تؤول في الغالب الى الألم والندم وذلك لانا اذا سلمنا بان ذلك النضج الذي يحصل باستعمالها ملذٌّ وضروريٌّ في بعض الاحيان فلا يسعنا ان ننكر ما يعقبهُ من ردّ الفعل الشديد الألم

ثم هب ان زمن الصبوح والعبوق قد انقضى بانقضاء الشيبة ونفاد المال فما الذي يبقى للفرط حينئذٍ من اللذات فلو كان اشترى عوضاً عن المسكرات اثاثاً لداره او ثياباً لنفسه وزوجتهِ واولادهِ او تحفاً او كتباً مفيدةً لكان يبقى لهُ بعد نفاد المال لذة النظر الى زوجتهِ واولادهِ في ثياب حسنة او لذة وجودهِ في دار مؤثثة او لذة حصولهِ على ما في تلك الكتب والتحف من العلم والتثقيف الى غير ذلك من اللذات التي لا يعقبها الندم والكدر بل تصير لهُ نوعاً من راس المال اذ تعود عليهِ بصحة الجسم وراحة العقل وبواسطتها تخف عليهِ مشاقّ العمل فيزيد فيهِ اتقاناً اذ يقوم بهِ والانشراح والسرور يملآنهِ

اما ما يبقى من اللذات بعد شرب الخمر فلا شيء واذا تبقى الحسرات والخسائر وهي لا تقتصر على ارتكاب اثم السكر بل تتنوع الى عدة اوجهٍ منها فقدان المبالغ العظيمة التي كانت تجتمع لدى العامل باستبقاء ما انفقهُ في الخمر واستبقاء ربحهِ ما كان يبقى لهُ ذخراً وعوناً على الزمن وتقلبات الايام ومنها اضعاف قوة العامل على العمل وافتقادهُ راس مالهِ الذي هو

صحته ومهارته وحسن طباعه اذ كيف يمكن ليدي السكير المرتعشين ان تقوما بعمل كما ينبغي وكيف يمكن لراسمو المضطرب بخار الخمر ان يستضيء بنبراس التعقل والتفكر ومن ذا الذي يأمن شخصاً متقلب الاطوار نظره على عمل يقتضي المهارة والدقة

على ان خسارة العقل وان كانت من اكبر المصائب الاَّ ان الافراط قد يؤدي الى ما هو أدهى منها اعني الى العنوّ وفقد الرحمة فانك كثيرًا ما تشاهد في المدن الصناعية النساء والاولاد في ملابس قذرة ولوائح الكآبة والجوع على وجوههم وقد اخذوا في التضرع والتذلل الى الازواج والآباء ليأخذوا منهم ما يسدون به رمقهم فيوسعهم الزوج او الاب سبًّا وشتمًا ثم يدير لهم ظهره يريد الفرار منهم وهم على ما هم عليه من الشغب كأن لم تفرض عليه صيانتهم والقيام بأمرهم فيأخذ هؤلاء في الصياح والالتماس والتضرع ولكن على غير طائل لان قلبه صار كالحجر الذي لا يلين اذ ان النقود في جيبه وقد عزم على انفاقها كلها في الخمارة فاي شرّ ترى اعظم من هذا

ولا مشاحة في ان كل هذه الشرور ناجمة عن الافراط في الخمر وان الاعتدال في شربها ربما يأتي بفائدة احيانًا غير ان هذا الاعتدال نفسه لا يخلو قط من خطر خصوصًا لمن لم تكتمل تربيته من العلة فان اللذة التي يجدها لاول شربه الخمر تغريه على الاكثار منها ومن ثمَّ على الاعتياد عليها فاذا استحكمت العادة فهيهات افلاعها والتخلص من شرورها

وقد امعن الناس طرقًا كثيرة لمنع الافراط في المسكرات فانشأوا جمعيات للامتناع المطلق عن شرب المسكرات واصدروا اوامر بتقليل اماكن بيعها ونهت بعض الحكومات عن بيعها مطلقًا وانقلت بعضها الضرائب على بائعيها غير ان اكثر هذه الطرق ملاءمة لاصول الاقتصاد السياسي هي تلك الجمعيات التي يشجع اعضاؤها بعضهم بعضًا على الامتناع التام عن المسكرات وقد نتج عن وجودها نقص مهم في كمية ما يباع من المسكرات باسرها وانكلترا . اما نهي الشرائع عن بيعها فما يمس بحرية التجارة ويخشى ان يكون سببًا لمحاولة بيعها بواسطة التهريب واما تثقيل الضرائب فما تزيد به المسكرات غلاء وقد قال آدم سميث واضع اصول هذا العلم انه اذا ارتفعت اثمان المسكرات تنافس الناس في تقديمها للضيوف اوقات الزيارات هذا ولا ينكر ان الخمر متى رخصت قلَّ عشاقها

﴿ محصَّل ﴾

ان اعظم العمال اجرةً ليسوا باكثرهم اقتصادًا واعظم مانع لهم من الاقتصاد هو الافراط في المسكرات

ان استخراج المسكرات يتسبب عنهُ غلاء الطعام وقلة الاعمال والافراط في شربها يتسبب عنهُ فقد الصحة والمال والشقاء . والاعتدال فيها لا يخلو من الخطر

ان جمعيات الامتناع عن المسكرات انفع لمعالجة الافراط من نهي الشرائع وتثقيل الضرائب

العجماوات والعدد

من الناس من اذا طرحتَ عليهِ مسألةً حسابيَّة اجابك بحلها فورًا وهو لم يدرس قواعد الحساب . ومنهم مَن يجمع الاعداد الكثيرة ويضربها ويرقّيها بلا قلم ولا قرطاس . ومنهم مَن لا يدرك معنى العدد ولا يستطيع حل مسألة حسابيَّة فيصح ان يقال فيهِ كما قال الشاعر

لو قيل كم خمسٌ وخمسٌ لارتأى يومًا وليلــــةً بعدُ ويحسبُ
ويقول مسألة غريب امرها ولئن ظفرت بها لامرٌ اعجبُ
فيهـــا خلافٌ ظاهرٌ ومذاهبٌ لكنَّ مذهبنا اصحٌّ واصوبُ
خمسٌ وخمسٌ ستة او سبعةٌ قولانِ قالها الخليلُ وثعلبُ

ومن المؤكد ان كثيرين من المتوحشين مثلهم مثلُ الاطفال في ادراك الاعداد يدركون ان هذه الخمس الاشجار اكثر من تلك الاربع ولكنهم لا يستطيعون ان يجرّدوا العدد عن المعدود فعندهم ان خمس اشجار لا يمكن ان تكون مثل خمس اثمار عدًّا لانهُ لا يمكنهم ان يتصوروا العدد الاَّ متعلقًا بالمعدود . وبين هذين الحدين اي بين الذين قوام الحسابيَّة شديدة حتى يضربوا الاعداد الكثيرة ويرقوها غيبًا بغير قلم وبين الذين لا يستطيعون ان يجرّدوا العدد عن المعدود درجات متفاوتة شاملة طوائف الناس

والمتوحشون غير قاصرين في ادراك المقادير الهندسيَّة قصورهم في ادراك المقادير العدديَّة فيميزون بين اربع اشجار نابتة في مربع واربع اخرى نابتة في سطر واحد ويميزون بين شجرة واخرى احسن تمييز من الشكل الظاهر ويعرفون الطرق في الآجام والغابات ويقدّرون الابعاد تقديرًا يعجز عنهُ المتمدنون

وقد ادّعى البعض في هذه الايام ان بعض العجماوات يميز بين الاعداد وبعضها